



المحرر

مما كتبت

الصقور الحوامة..

أشكال الكتابة ليست ثابتة، بل هي استجابة لتطلعات الجمهور، ومتطلبات السوق، والمناخ السياسي، وما تتيحه التقنيات الجديدة من فرص.

بقلم رشاد عبد القادر · ٦ أيار ٢٠٢١ · قراءة في ٥ دقائق

باتريشيا نيلسن ليمريك Patricia Nelson Limerick القصة مجدداً في مقال مطول نشرته في «نيويورك تايمز» عام 1993 تنتقد فيه «عقلية الصقر» في المؤسسات الجامعية، ثم أصبحت منذ ذلك الحين مضرراً للمثل لدى الحديث عن كتابة التقارير Reporting الصحافية؛ أو ما يُعرف بالاسم المفرع «الهرم المقلوب».

فتاريخياً، تقوم المؤسسات الإعلامية بربط أرجل صحافييها بقالب «الهرم المقلوب»؛ ومفاده أن المعلومات يجب تقديمها بطريقة معينة: الأكثر أهمية في قاعدة الهرم في الأعلى والأقل أهمية في رأسه المدبب المتجه إلى الأسفل. لا عيب في ذلك بحد ذاته. ينبغي أن يكون للصحافيين أرضية مشتركة، وعليهم أن يتشاركوا في بعض الافتراضات الأساسية، وأن يكون لديهم عادات ذهنية متشابهة. فهذا يمنح الصحفي موطئ قدم في المؤسسة التي يعمل فيها.

المشكلة تبدأ عندما تهيمن نفسية «الصقر الحوامة» على الصحافي فيرفض الطيران واستعادة احترام الذات حتى بعد فكّ قدميه. يُرْبَص هناك على غصن الشجرة، بظهره المنحني، غاضباً ومتربصاً بأي صحافي آخر يحاول التحليق قليلاً، فيتبرع بإيصال «شكوى» شديدة اللهجة بأن أي محاولة لاختراق حصن «الهرم المقلوب» المنيع ينبغي أن تُفشل في مهدها. عنده الكتابة الباهتة «مهارة بقاء» على قيد الحياة داخل المؤسسة. وهكذا أصبحت الحكمة هي الجلوس بهدوء على الغصن؛ الجلوس دون أي تفكير في الطيران، فحتى مجرد التفكير قد يكون كافياً لإمالة الميزان وإطلاق جولة أخرى من الرفرفة والإغماء والارتباك.

طوال قرون، لم يكن «الهرم المقلوب» الشكل الوحيد في إيصال الخبر، كان هناك دائماً استثناءات. لكن التوتر ظلّ مستمراً بين الذين يريدون تقديم الخبر ناشفاً ومجرداً Hard News، وبين أولئك الراغبين في رواية القصص Storytelling، المتحمسين لتبني هياكل سردية للحفاظ على القراء الذين تقلل أعدادهم باطراد. والحق، أن أشكال الكتابة ليست ثابتة، بل هي استجابة لتطلعات الجمهور، ومتطلبات السوق، والمناخ السياسي، وما تتيحه التقنيات الجديدة من فرص.

يحتاج الصحافي إلى إنقاذ نفسه من نفسه. يحتاج إلى التخلص من ذاك الخوف والفرع في أسلوب كتابته؛ تلك العبارات المهزوزة، غير الواثقة من «يبدو أن» إلى «يميل إلى» مروراً بـ«نوعاً ما» و«ربما» و«عبارة عن».. إلخ. هنالك الآن أكثر من 50 مليون صانع محتوى حول العالم خارج المؤسسات الإعلامية المعهودة، أقدامهم غير مكبلة بالغصن، يطربون مع تيارات الهواء الدافئة، ويحقق بعضهم بضعة ملايين من الدولارات شهرياً (انظر إلى Mr. Beast، جيمي دونالدسون عمره 22 عاماً ويحقق 3.1 مليون دولار شهرياً من الاشتراكات فقط في قناته).

ليس هذا فحسب. ففي عصرنا، عصر الوباء والمعلومات المضللة والعصيان المدني، يتجادل الصحافيون عالمياً في المفاهيم الكبرى الراسخة في الصحافة ويشككون في مدى جدواها، كـ«الموضوعية» و«الحياة» و«التوازن»، فيما تجد أن مفهوماً بسيطاً وواضحاً مثل قاعدة «الهرم المقلوب» لا يزال ركيكاً ومتوجساً في صحافتنا.

انظر إلى التكرار والخوف من الاستنتاج وتغييب الصورة الكبيرة في هذا الخبر الذي نشره أحد أهم المواقع الصحافية العربية، وسأقارنه بالخبر ذاته نشر

«الهرم المقلوب» ليس الشكل الوحيد في إيصال الخبر، كان هناك دائماً استثناءات.

كان الفضول والقلق ينتابان الروائي الأمريكي لاري ماكيميرتري Larry McMurtry الحائز على «جائزة بوليتزر» في الآداب، عندما حظت طائرته في تكساس عام 1963، ففي ساعات قليلة سيشهد عملية غير اعتيادية - بمعايير زمانه - في تحويل شخصيات روايته «Horseman, Pass By» إلى كائنات من لحم ودم تقف أمام عدسات تصوير فيلم «هاذ» Hud الذي سيحصل 3 جوائز أوسكار وسيُحفظ في «السجل الوطني للأفلام» في مكتبة الكونغرس باعتباره إحدى أيقونات سينما الغرب الأمريكي.

كانت عمليات التصوير قد بدأت فعلياً قبل أسبوع أو أسبوعين عندما وصل إلى الموقع، وكان أول ما تنقّط في ذهنه كحبة الدُرّة أن سأل العاملين هناك: كيف جرى مشهد الصقور الحوامة؟

في ذلك المشهد، يصل «هاذ» الذي يلعب دوره الممثل بول نيومان، بشاحنته الصغيرة ليكتشف أن بقرة قد نفقت بسبب مرضٍ انتشر في قطع أبقاره، فيُخرج بندقيته غضباً ويطلق النار على صقور حوامة تراصفت على غصن شجرة تنتظر بفارغ الصبر الوليمة الماثلة أمامها. وكان من المفترض -بحسب أحداث الرواية- أن تطير الصقور فرقة في السماء الزرقاء، لكنها في أثناء تصوير المشهد رفضت أن تتحرك من مكانها. ويذكر لاري ماكيميرتري كيف تبادل العاملون نظرات الخرج من سؤاله؛ ليكتشف أن الأمر لم يسر كما يجب. ولكّ تخيّل ذلك: أن تطلق النار على طيور فتبقى في مكانها وكأن شيئاً لم يكن!

بدأت المشكلة عندما اكتشف فريق العمل أن الصقور المحلية في «تكساس» مظهرها رث، فاضطروا إلى شحن صقور خاصة جواً وبتكلفة كبيرة، لها مظهر درامي يتناسب مع وسامة الممثل بول نيومان. ثم بدأت المشكلة الثانية؛ كان من المستحيل التمرين على المشهد دون أن تفرّ الصقور الجديدة المهيبة، فما الحل؟ اقترح أحدهم أن يتم ربط أرجلها بسلك إلى غصن الشجرة. وهذا ما فعلوه. أطلق نيومان النار من بندقيته في أثناء التمرين، فلم تستطع الصقور الطيران، بدلاً من ذلك، في أثناء هوجة الفرع، اندفعت إلى الأمام وانقلبت رأساً على عقب متدلّية من أرجلها المربوطة بغصن الشجرة. نجحت الخطة، لكن القصة لم تنتهِ هنا. تبين أن الدورة الدموية لهذه الصقور الحوامة لا تعمل عندما تكون رأساً على عقب، والنتيجة أنها تصاب بالإغماء، فيعمد الفريق إلى تصحيح وضعيتها مجدداً كي تعود إلى وعيها. وهكذا إطلاق نار، محاولة طيران، إغماء، إفاقة - مرة، مرتين، ثلاث، أربع.. أصبح الجميع جاهزاً. فُكّت أرجل الصقور وأديرت الكاميرات استعداداً للحظة الكبرى، ومع صرخة: أكشن، طاخ طاخ، لم تتحرك الطيور من مكانها، ثم طاخ طاخ طاخ، طخ طاخ، رفضت أن تتحرك أيضاً. استعان الفريق بمدرب رفيع المستوى لمساعدة الصقور على استعادة احترامها لذاتها، لكنه لم ينجح إلا مع صقرين اثنين من أصل 12. حسب صانعي الفيلم حساب كل شيء إلا «عقلية الصقر»، فقد كان لسان حال الصقور يقول: «جرنا الطيران ولم ينجح. لن نجربه مرة أخرى». كان المشهد برمته فوضى عارمة.

القصة ذكرها ماكيميرتري عام 1968 في كتابه In a Narrow Grave، عن تأملاته وذكرياته في «تكساس». نكشت المؤرّخة والكاتبة والمحاضرة

انتبه إلى الفقرة الأولى كيف يرسم الصحافي الصورة الكبيرة للحدث، وفي الفقرة الثانية كيف يتوقع بجرأة منح المعسكر المناهض لنتنياهو فرصة تشكيل الحكومة، وهو ما حدث في اليوم التالي، بينما يتوقع خبر الصحيفة العربية التمديد.

فشل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في تشكيل حكومة جديدة مع انتهاء الموعد المحدد في منتصف ليل الثلاثاء، ما يعرّض مستقبله السياسي للخطر، إذ يواجه محاكمة بتهمة الفساد وإطالة الجمود السياسي الذي تفاقم بعد أربعة انتخابات في غضون عامين.

الرئيس الإسرائيلي رؤوفين ريفلين قد يمنح الآن المعسكر المناهض لنتنياهو فرصة تشكيل حكومة، ما قد يعني طرد نتنياهو من السلطة بعد 12 عاماً متتالية في منصبه.

ويعد حزب الليكود اليميني الذي يتزعمه نتنياهو الأكبر في المشهد السياسي الإسرائيلي الممزق، بعد أن فاز بـ 30 مقعداً في الانتخابات العامة في مارس. مع ذلك، لم يتمكن من حشد عدد كافٍ من الشركاء لقيادة تحالف أغلبية لا يقل عن 61 مقعداً في الكنيست (البرلمان) المؤلف من 120 عضواً.

وبحكم ما أنشره، تصلي أسئلة من صحفيين يحاولون اكتشاف طريقهم. فيا أيها الصحافي الشاب لا تكن مثلنا، لا تكن أسير القوالب. تعلّم على «ألا تتعلم»؛ أن تكون لديك القدرة على نسيان ما تعلمت، لا تستسلم لما تكتبه وللأسلوب الذي تكتب به. فالكتابة الجيدة هي التعلم باستمرار، هي عدم الخوف من الفشل. اكتب كي تفاجئ نفسك حق وإن كانت المفاجأة سيئة. وكما تقول ليمريك: «لديك الحرية. لديك الخيار. استخدمه. شجّع الآخرين على النزول عن غصن الشجرة. استثمر بعض الوقت والاهتمام للنظر فيما أنت ذاهب إليه. ولكن بعد ذلك انزل. تحسّس تيار الهواء الصاعد. وحلّق».

في «نيويورك تايمز» في الوقت ذاته، وكلاهما يعتمد «الهرم المقلوب».

خبر الصحيفة العربية:

أخفق رئيس الوزراء الإسرائيلي المكلف بنيامين نتنياهو (71 عاماً) في تشكيل حكومة، بانتهاء المهلة الممنوحة له لإنجاز هذه المهمة. ولم يتمكن نتنياهو -رئيس حزب الليكود اليميني- من الحصول على أغلبية 61 نائباً من أصل 120 في الكنيست (البرلمان) اللازمة لتشكيل الحكومة.

وانتهت عند منتصف الليل يوم الثلاثاء مهلة 28 يوماً يمنحها القانون للمكلف بتشكيل الحكومة، والتي يمكن تمديدتها أسبوعين بموافقة الرئيس الإسرائيلي رؤوفين ريفلين.

وذكرت صحيفة معاريف الإسرائيلية أن نتنياهو أعاد التكليف بتشكيل الحكومة إلى ريفلين، بينما قال بيان للمتحدث باسم الرئيس الإسرائيلي إن الأخير سيتواصل صباح الغد مع الكتل السياسية بخصوص استمرار مساعي تشكيل الحكومة.

وأضاف بيان المتحدث باسم الرئيس «انتهت فترة 28 يوماً المنصوص عليها في قانون أساس الحكومة، والتي كانت تحت تصرف رئيس الوزراء عضو الكنيست بنيامين نتنياهو لتشكيل الحكومة، في منتصف الليل»، وتابع البيان «قبل منتصف الليل بقليل، أبلغ نتنياهو الرئيس أنه لم يتمكن من تشكيل الحكومة».

خبر «نيويورك تايمز»:

عن هذه النسخة

هذه نسخة PDF من مقالة نُشرت في موقع «المحرر». النص والصور كما هي في المقالة الأصلية.

«الصقور الحوامة..» — مَقَاتِبَت · بقلم رشاد عبد القادر · ٦ أيار ٢٠٢١
almuharir.net · تاريخ السحب ٥ تشرين الأول ٢٠٢٦